مادة (نفخ) ومشتقاتها في القرآن الكريم
دراسة لغوية دلالية

The subject (nafgh) and its derivatives in the Holy Qur'an -a semantic linguistic study

م. د. نؤاس محمد علي عبد عون
كلية الآداب - الجامعة العراقية
M. D. Nuas Mohammed Ali Abd Aoun Al-Khafaji
College of Arts -Iraqi University
nuasali518@gmail.com

الملخص

يتناول البحث مادة نفخ والمستوياتها اللغوية والدلالية لصيغها التي جاءت في القرآن الكريم، وقد وردت عشرين مرة في ثمان عشرة آية، ابتدأت الدراسة بالمستوى المعجمي ثم الصرفي بصيغه المختلفة ومعه النحوي لتحديد وظيفة صيغ النفخ في التراكيب وردت فيها، ومن ثم الدلالي لمعرفة دلالتها داخل سياق الآيات حيث تنوعت بين النفخ بمعناه المادي اللغوي والنفخ بمعني الخلق والنفخ في عالم الآخرة.

Abstract:

The research deals with the subject (nafs) and its linguistic and semantic levels of its forms found in the Holy Qur'an ,The Qur'an mentioned it twenty times in eighteen Qur'anic verses. The study began with the lexical level of the word, then the morphological level, and with it the grammatical level, which studies the grammatical structures that contain vowel words and their grammatical function, Then the semantic to know its meaning in the context of the verses.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه الخلص المنتجبين ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

تتشكل المادة اللغوية في القران الكريم على صيغ مختلفة لتؤدي دلالات الهية وتعبر عن مقاصد ربانية وهي تنتظم في نصوص القران على وفق منهجه اللفظي بانسجام واتساق وعلى نحو معجز، ولما كان النفخ يمثل بداية الحياة لكل المخلوقات الحية حين ينفخ الله الروح فيها وكذلك بالنفخ يعلن الايذان بختامها وبعث الأموات من جديد لحسابهم أخترت مادة نفخ موضوعا للبحث والدراسة اللغوية وقد ارتأيت ان تنقسم مباحث الدراسة على وفق تمهيد يتناول أهمية الكلمة في التعبير القرآني، ثم ثلاثة مباحث تمثل المستويات اللغوية لمادة نفخ وهي المعجمية والصرفية والنحوية وكذلك الدلالية السياقية التي تكون لـ(نفخ) في سياق الآيات التي وردت فيها، فاستعمال اللفظة في السياق له اثره في توجيهها لتدل على غير معناها اللغوي، ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها النتائج التي انتهت اليها مسيرة البحث، بقي أن اذكر اني قد جمعت في مبحث واحد بين المستوى الصرفي والنحوي؛ وذلك لسببين الأول قلة تنوعات الصيغ الصرفية لهذه المادة في النصوص القرآنية بما يبني مبحثا صرفيا مستقلا؛ فليس فيها صيغ للجموع مثلا ولا للمشتقات.. إلخ وإنما كل ما ورد منها صيغ فعلية ماعدا صيغة اسمية واحدة هي مصدر المرة، والسبب الثاني: الأثر الكبير للتركيب النحوي وقرائنه المتنوعة في تحديد الوظيفة التي تؤديها الصيغة الصرفية داخل ذلك التركيب ما يجعل عملهما متبادلا.

التمهيد
أهمية الكلمة ووظيفتها في التعبير القرآني

الكلمة في القرآن هي قول الله المعجز فقد أودع عز وجل في كل حرف من كتابه العزيز سرا من أسرار اعجازه فجعله كتابا لا تنقضي عجائبة ولا تنتهي غرائبه ولا يخلق من كثرة الرد، وكان لاختيار كل كلمة فيه من بين مفردات اللغة الأخرى بصيغتها وبنائها وبلاغتها والسياق أو الموضع الذي وضعت فيه اعجازا وكمالا وحكمة، قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾﴿ ١١٥الأنعام ﴾.

« لا شك أن كل مفردة وضعت وضعا فنيا مقصودا في مكانها المناسب، وإن الحذف مقصود، كما أن الذكر مقصود وإن الإبدال مقصود، كما أن الأصل مقصود، وكل تغيير في المفردة أو إقرار على الأصل مقصود له غرضه»[١]، ومن أغراضه:﴿ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ وَيَقْطَعَ دابِرَ الْكافِرِينَ﴾ ﴿٧ الأنفال﴾.

وتتصرف الكلمة في القران الكريم إلى وجوه عدة من الدلالات والمعاني البلاغية، وذلك بحسب الموقع الذي يكون لها في سياق النصوص القرآنية، بالإضافة الى تعدد اشتقاق صياغاتها الصرفية، وتنوع مواقعها الاعرابية في التراكيب النحوية، محكومة بالحكمة الإلهية، يقول الجاحظ عن سر الكلمة وخصوصيتها الدلالية في كتاب الله :» قد يدلُّ بالكلمة الواحدة والكلمات المختصرة على معانٍ متعدِّدة يطول شرحها، وإذا أراد المتكلِّم العادي التعبير عن المعاني الذي أرادها القرآن لم يصل إلى بغيته إلّا بلفظٍ أطول أو أقلّ دلالة «[٢].

من هنا تأتي أهمية دراسة الكلمة في القران الكريم بمستوياتها اللغوية جميعا وخصوصيتها، كونها مشحونة بالدلالات وهي لا تمارس دورها الدلالي في موضعها فقط، ولا بصيغتها الوضعية فحسب بل ان كل كلمة فيه مرتبطة لغويا ودلاليا بالنص القرآني كله، وهي خاضعة لمنهجه اللفظي الخاص، ومتأثرة بدلالات نص الكتاب الأوسع، فالقرآن الكريم بنصه الكلي يمثل السياق الأكبر الذي يحكم كلماته وجمله وتراكيبه، وعليه تعرض مفرداته كلها، وإليه يحتكم الباحث أو المتدبر إذا ما حاول الوقوف على معانيها والمقصود منها.

(١) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي: ٤.

(٢) البيان والتبيين ، الجاحظ : ٢/ ١.

وقد ذكر القرآن الكريم، كل أقسام الكلمة وأشكالها وصيغها وحالاتها، فذكرها بصيغها المفردة والمثنى والجمع، وبأقسامها اسم وفعل وحرف، وحالات الاسم بأنواعها، والفعل بأنواعه، وذكر الكلمة حسب حالات إعرابها منصوبة ومرفوعة ومجرورة، إلى ما هناك من تقسيمات وتفصيلات وصيغ أخر(١)، ثم إن الله تعالى قد طالب عباده بالتدبر في القران الكريم وكلماته ففي ذلك نجاتهم وصلاح حالهم وثبات ايمانهم ووضوح بصيرتهم بالحق وعمل المعروف وبناء الحياة واعمار الأرض وضمان الآخرة؛ ولذا فإن دراسة ألفاظ القران الكريم بمستوياتها جميعا ليس عملا علميا عظيما فقط بل ضرورة عبادية وايمانية أيضا، وما بالك إذا كان اللفظ المدروس مما ورد في سياقات خلق الانسان ووصف يوم القيامة وأهواله وأحوال العباد فيه على نحو موضوع بحثنا لمادة (نفخ) فهي تزداد أهمية للعباد كونها تتعلق بآخرتهم وتدفعهم لمزيد من الخشوع والاستعداد والتهيؤ لهول ذلك اليوم؛ وعليه لابد من دراسة المستويات اللغوية والدلالية لتلك الكلمة ليتبين المعنى، ولعله يتضح المقصود الإلهي وتعرف الرسالة التي حمَّلها الله تعالى في النصوص التي وردت فيها.

وردت مادة نفخ بصيغها المختلفة في القرآن الكريم عشرين مرة في ثماني عشرة آية، تنوعت الصيغ بين الأفعال الثلاث الماضي والمضارع والأمر وتنوعت ازمنتها ولكن بتفاوت بين زمن وآخر بحسب دلالة صيغتها وقرائن التركيب الذي ترد فيه فهي تحدد زمن الفعل، وكذلك تنوعت الأفعال بين المبني للمعلوم والمبني للمجهول لصيغتي الماضي والمضارع، أما بالنسبة لصيغتها الاسمية فلم ترد إلا مرة واحدة بصيغة مصدر المرة، فضلا عن تنوع السياقات واختلاف التراكيب النحوية التي جاءت فيها صيغ نفخ؛ ولذا لابد من دراسة المستويات اللغوية لهذه المادة مبتدئين بالمستوى اللغوي المعجمي أولا؛ إذ يقدم لنا هذا المستوى المادة الأساس عند بناء الصيغة الصرفية وتشكيلها، وبها يعرف معنى هذه الصيغة في الأصل، وكذلك صيغ الأفعال التي جاءت عليها، ثم لابد من بيان الوظيفة النحوية التي يمكن أن تؤديها داخل التركيب، ورصد التحول الذي حصل في الدلالة الأساس بفعل طبيعة سياق الآيات التي وردت فيها صيغ النفخ المتعددة.

(١) ينظر: الكلمة القرآنيّة أعماقها، أبعادها، أدوارها ارتباطاتها، أشكالها، إعجازها ، خالد بكرو: ٣٩٠ .

المبحث الأول
المستوى اللغوي المعجمي لـ (نفخ)

سيحاول الباحث في هذا المبحث تتبع معاني مادة (النون، الفاء، الخاء) في المعجمات العربية، إلا أني لم أورد كل المعاجم العربية في البحث فيما ذكرته عن (نفخ)؛ لكثرتِها، ولكني تتبعت هذه المادة فيها، فما وُجد فيها من معانٍ، لم يذكرها غيرهم أوردها، وإن لم يكن اكتفي بهذه المعاجم التي اعتمدها في بحثي لدقتها في عرض المادة اللغوية، ولقِدَمها في التصنيف.

المطلب الاول / معنى النفخ في المعجمات اللغوية:

جاء في معجم العين للفراهيدي (ت ١٧٠هـ) [١] :النَّفْخُ : معروف، تقول نَفَخْتُهُ فَانْتَفَخَ، والمِنْفَاخُ: ما ينفخُ به الإنسان في النار وغيرها، والنِّفِّيخُ: الموكل بنفخ النار.. والنُّفَاخُ نُفْخَةُ الورم من داء يأخذ حيث أخذ. والنُّفْخَةُ: انتفاخ البطن من طعام ونحوه، والمِنْفَاخُ كير الحداد. وشاب نُفُخٌ، وشابة نُفُخٌ، بغير الهاء، إذا ملأتهما نُفْخَة الشباب، وقوم مَنْفُوخُونَ أي: سمنوا في رخاوة، والنُّفَّاخَةُ: الحجاة، وهي فقاعة ترتفع فوق الماء

وقال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) نفخ: أصل صحيح يدلّ على انتفاخ وعلوّ. منه انتفخ الشيء انتفاخا، ويقال: انتفخ النهار: علا، ونفخة الربيع: اعشابه، لأنّ الأرض تربو فيه وتنتفخ. والمنفوخ: الرجل السمين،

وذكر الراغب (ت٥٠٢هـ):" النفخ، نفخ الريح في الشيء، قال: (يَومَ يُنفَخُ في الصُّورِ ونُفِخَ فِي الصورِ ثمَّ نُفِخَ فِيهِ أخّرى) ومنه نفخ الروح في النشأة الأولى، قال(ونفختُ فيه من روحي) يقال انتفخ بطنه» [٢].

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري (ت ٥٣٨هـ) عن نفخ:) نُفِخَ فِي اَلصُّورِ (وكم بين النَّفْختَين. ونَفَخَ في النار. ونفخ النّارَ بالمِنفاخ وهو الكِيرُ. ونصبوا على النّار المنافيخَ. ونَفَخْتُ في الزقّ فانتفخ، ونَفَّخْتُ فيه فتنفّخ، وهو يجد نَفْخَةً في بطنه ونِفْخَةً ونُفْخَةً : انتفاخاً من طعام وغيره، ومن المجاز:

---

(١) كتاب العين ، الفراهيدي: ٢٧٧/٤.

(٢) (٥) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ١/ ٥٠٠.

انتفخ النهارُ: علا. ونَفَخَ شِدقَيْه: تكبّر. وجاءت نَفْخَةُ الربيع: أيّام اعشابه [١]

وقال ابن منظور (ت٧١١هـ) في اللسان [٢] النَّفْخ: معروف، نفَخَ فيه فانْتفَخَ، ابن سيده: نَفخَ بفمه ينَفخُ نَفْخاً إذِا أخَرج منه الريح يكون ذلك في الاستراحة والمعالجة ونحوهما؛ ونفَخ النارَ وغيرها ينفخُها نَفْخاً ونَفِيخاً، والنَّفيخُ: الموكل بنَفْخ النار؛ ونفخَ الإنسانُ في اليراع وغيره. والنفْخة: نفخةُ يومِ القيامة. وفي التنزيل: فإذا نفُخ في الصور. وفي التنزيل: فأنْفخُ فيه فيكون طائراً بإذن الله. ويقال: نُفخ الصورُ ونُفخ فيه.

يتبين مما تقدم ان « المعنى المحوري : اندفاع الهواء من الجوف المخلخل (أو فيه) [٣]، وأنّ الأصل الواحد المشترك في مادّة نفخ: هو إيراد ريح أو نظيره مادّيّا أو معنويّا في شيء، بالفم أو بغيره. ومن مصاديقه: نفخ الهواء في النار بفم او بمنفاخ. ونفخ في الزقّ للحدّادين. وانتفاخ هواء وماء في النباتات الربيعيّة. ونفخ الهواء بالفم في الطعام للتبريد. وحصول انتفاخ في البطن. ونفخ الروح من الله تعالى في الجسم نفخا روحانيّا(.[٤]

المطلب الثاني/ الفروق الدلالية بين معنى النفخ والالفاظ المقاربة له:

يتضح معنى (نفخ) أكثر من خلال ابانة الفروق الدلالية بينها وبين ما قد يقاربها او يشابهها، نحو النفح، والنَفث، والهبّ، والبَزق والنَسْم، والتفل:

« فالنفح: إخراج هواء لطيف مادّيّا أو معنويّا وتوجيهه الى شيء، والنفخ : أغلظ منه وأشدّ، فانّ الخاء من حروف الاستعلاء.

والنفث: فيه إخراج شيء قليل من الريق أيضا، فانّ الثاء من حروف النفث وتلازم خروج شيء من المخرج حين التلفّظ بها

وفي التفل والبزق والبصق: يلاحظ النظر الى ريق الفم، والهبوب: يلاحظ فيه التحرّك والجريان من حيث هو.[٥]"

(١) أساس البلاغة ، الزمخشري:٢ /٤٦٣.

(٢) لسان العرب ابن منظور مادة : نفخ : ٣ /٦٣

(٣) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم ، محمد حسن جبل :٢٢٣٣.

(٤) ()ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم ، المحقق المفسر العلامة حسن المصطفوي : ١٢/ ١٨٧.

(٥) المصدر نفسه :١٢/ ١٨٨.

المبحث الثاني
المستوى الصرفي والنحوي لمادة نفخ في القرآن الكريم

المطلب الأول / العلاقة بين البناء الصرفي والوظيفة النحوية وأثرهما في المعني

الصرف عند علماء العربية :»هو أن تصرف الكلمة المفردة فتتولد منها ألفاظ مختلفة ومعان متفاوتة»(١) وهو: «عِلْمٌ بِأُصُولٍ تُعْرَفُ بِهَا أَحْوَالُ أَبْنِيَةِ الْكَلِمِ الَّتِي لَيْسَتْ بِإِعْراب»(٢) .

ويرى الزركشي ان «العلم به أهم من معرفة النحو في تعرف اللغة , لأن التصريف نظرٌ في ذات الكلمة، والنحو نظر في عوارضها»(٣).

اما مفهوم الصيغة الصرفية فهي» عبارة عن هيأة الكلمة أو القالب الذي تصاغ الأبنية الصرفية على قياسه، وتنطوي هذه الهيأة على عنصرين أساسين هما: الأصول والحركات»(٤)، فالأصول هي الحروف المكونة للكلمة ، والحركات هي التي تحدد صيغتها ومعناها(٥).

فالصيغة « كل لفظ له معنى لغوي يفهم من مادة تركيبه، ومعنى صيغي وهو ما يفهم من هيأته، أي: حركاته وسكناته وترتيب حروفه؛ لأن الصيغة اسم من المصوغ الذي يدل على التصرف في الهيأة لا في المادة؛ فالمفهوم من حروف (ضرب) استعمال آلة التأديب في محل قابل له، ومن هيأته وقوع ذلك الفعل في زمن الماضي ، وتوحيد المسند إليه وتذكيره وغير ذلك» (٦) ، فيشترط في الصيغة اجتماع المعنيين معا، أحدهما اللغوي وهو معنى الاصول الثلاثة من حيث انها تلخص علاقات اشتقاقية بين طائفة من الكلمات والثاني الصيغي والاشتقاقي وهو ما يُنسب الى البناء الصرفي من معنى عام كالطلب والمطاوعة والاتخاذ والتدرج ...إلخ (٧)؛ ولذلك وبناء على هذين الركنين اللذين يشكلان ركيزتي الصيغة اقتصرت الصيغ على الأسماء والافعال والمشتقات

---

(١) كتاب المفتاح في الصرف، عبد القاهر الجرجاني:٢٦.

(٢) شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الاستراباذي :١/١ .

(٣) البرهان في علوم القران، الزركشي :٣٧٣/١.

(٤) القرينة في اللغة العربية ، كوليزار كامل عزيز:٨١.

(٥) ينظر: التحول الداخلي في الصيغة الصرفية ، مصطفى النحاس :٤٢.

(٦) الاعجاز الصرفي في القرآن الكريم التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، عبد الحميد الهنداوي :٩.

(٧) ينظر: البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني ، تمام حسان :٣١/١.

واستبعدت منها الأدوات والظروف والضمائر؛ لافتقادها لهما.

ولابد من التدقيق في الصيغ والتفريق بينها استنادا الى المعنى، فلكل معنى صيغة خاصة تعبر عنه وتحدده وتميزه عن غيره، فدلالة الاسم تختلف عن غيره من دلالة الصيغ كالمصدر واسمه او الصفة، وكذلك دلالة الفعل التام تختلف عن الفعل الناقص كما يختلفان في الوظيفة، ومثله الفعل المتصرف لا يتفق مع الفعل الجامد، وكذلك الفرق بين المتعدي واللازم وهكذا البقية تختلف الصيغ باختلاف المعاني؛ لذا يؤكد علماء اللغة وعلوم القرآن, والمتصدون للتفسير ضرورة الإلمام بعلم الصرف والتصريف؛ فبالتصريف يعرف المفسر أبنية الكلمات وموازينها وصيغها، فإذا هو وجد كلمة مبهمة استطاع تصريفها لمعرفة مادتها ومعناها, ومن جهل هذا العلم التصريف كان عرضة لأخطاء كبيرة في التفسير [١].

والعلاقة بين النحو والصرف علاقة ترابط وتكامل واستدعاء حيث يعطي النحو للبناء الصرفي بأنماط صيغه المتعددة أهمية كبيرة في علاقات أبنية الكلم بعضها ببعض وفي عرض تحليلاته ؛ فالصرف يشكل رافدا للدلالة النحوية التي تبحث في علاقة المفردات بعضها مع بعض في الجمل المختلفة [٢]، ذلك إن الصيغ الصرفية تقدم للتركيب خيارات متعددة فيختار ما يناسب المعنى الذي يقتضي ايصاله للمتلقي، وكذلك طبيعة الترابط والتضام بين الفاظه، كما توجه الصيغة الى « تحديد كثير من الوظائف والعلاقات، ذلك ان لكل من الفعل اللازم والمتعدي، والمبني للمعلوم والمبني للمجهول، والناقص والتام، والمصادر والمشتقات اللازمة والعاملة، أنماطا لفظية تميز بعضها من بعض، وتعين المقصود الذي له مقتضياته وحاجاته» [٣].

ومثلما يمارس البناء الصرفي تأثيره في التركيب وفي علاقاته فان التركيب هو أيضا يؤثر في معنى الصيغة؛ لان العلاقة بين النحو والصرف علاقة جدلية تقوم على الاستدعاء، وأن لكل بناء جهة او عرى تربطه في أثناء النظم بغيره من مكونات التركيب من السوابق واللواحق وتحدد الرتبة، فالحالة الاعرابية بمجملها تشكلها الرتبة والنسبة والصيغة ومعها الحدث وعلاقته بالزمن والتضام.

وقد تتغير الوظيفة النحوية للبناء الصرفي نفسه بفعل التركيب ونعني بالوظيفة النحوية للكلمة :» ما تؤديه الكلمة من دلالة نحوية في الجملة كالفاعلية والمفعولية والخبر والحال ...الخ» [٤]،وتعنى

(١) ينظر: التأويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، محمد بازي: ١٦٧_١٦٨.

(٢) ينظر: الدلالة السياقية عند اللغويين، عواطف كنوش إسماعيل:٣٨.

(٣) التحليل النحوي عند ابن هشام، وائل عبد الأمير: ٢٠٥، وينظر: التحليل النحوي أصوله وأدلته، فخر الدين قباوة : ١٨٠.

(٤) التركيبات الوظيفية قضايا ومقاربات ، أحمد المتوكل :٤٤.

الوظيفة النحوية برصد العلاقة الدلالية أو التركيبية القائمة بين مكونات الجملة والأدوار التي تؤديها فيما بينها . وهذه الوظيفة قد تتغير على نحو ما نجده في الصفة المشبهة التي قد تأتي مرة خبرا للمبتدأ وقد تعمل عمل الفعل مرة ثانية فتحتاج الى مسند اليه او قد تقع هي نفسها مبتدأ، كذلك صيغ الافعال فالفعل على المستوى النحوي يختلف عن مستواه الصرفي، فصيغته الصرفية تؤدي معنى الحدث المقترن بزمن الا انه في النظم لا يكون الزمن وظيفة الفعل بمفرده فقط ، وإنما يتضح أو يتغير بالقرائن والسوابق واللواحق، فالزمن الصرفي قد يختلف عن الزمن النحوي على نحو ما سنجده في الآيات في استعمال صيغة الماضي (نُفِخَ) للمستقبل مثلا، فالزمن يحدده السياق النحوي بما يتضمنه من قرائن لفظية وحالية وبناء على موقع الفعل في السياق وما يحف به من قرائن تتوقف دلالته على زمن ما، من هنا ندرك أن الموقع النحوي للكلمة يوسع الدلالة الاصلية للكلمة، كما ان للموقع النحوي أثر مهم في تحديد المعنى الدقيق في النظم(١).

المطلب الثاني/ المستويان الصرفي والنحوي لمادة نفخ

أولا- الصيغة الفعلية

وردت مادة نفخ في القران الكريم في عشرين موضعا توزعت على ثماني عشرة آية، وما جاء منها بالصيغة الفعلية فهو، اثنتا عشرة صيغة للفعل الماضي، وست صيغ وردت بصيغة الفعل المضارع أما بصيغة فعل الأمر فقد وردت مرة واحدة فقط ، وجميع الأفعال لازمة غير متعدية، وقد اختلفت أزمنتها في تراكيب جمل الآيات وسياقاتها عن دلالتها الصرفية، كما أن الاغلب منها جاءت متجردة عن الضمائر وما جاء متصلا بالضمير فهو في خمس مواضع فقط ، وسنبحث الصيغ الفعلية على النحو الآتي.

أ- **صيغة الفعل الماضي**: ورد الفعل الماضي بثلاث صيغ:

١- الأولى، هي (نَفَخَ) ثلاثي على وزن (فَعَلَ) مبنيا للمعلوم ومجردا من أحرف الزيادة ومن اتصاله بالضمير وقد ورد مرة واحدة فقط وهو مبني على الفتح ، جاء في قوله تعالى يصف خلق الانسان: ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٩)﴾﴿السجدة﴾.

(١) ينظر: أثر الموقع النحوي على الوظيفة الدلالية (دراسة وصفية تحليلية لنصوص من دلائل الاعجاز)، نيكسون جونسون بونان: ٢٣٣، ٢٣٨.

إن دلالة الفعل الماضي على وقوع الحدث وتمامه قبل زمن التكلم هي الأصل((١ إلا أنه يأتي للدلالة على أن الحدث وقع في زمن ماض ولكنه لاحق لأحداث أخرى سبقته في المضي، أو أن عملا ما يتكون من مجموعة أفعال تختلف طبيعة حدث كل منها وصفاته، تحدث بالتعاقب والترتيب هو واحد منها على نحو الأفعال التي مرت في الآية آنفا، التي تدل على مجمل عملية خلق الله لآدم _عليه السلام_ .

دلالة الفعل المجرد (نَفَخ) هنا وإن كانت دالة على زمن الماضي بصيغتها الصرفية إلا انها في تركيب الآية دالة على انتهاء مرحلة من خلق الأنسان وبداية مرحلة جديدة في عملية الخلق، وهي النفخ؛ وذلك بفعل القرينة (ثم) التي تفيد الترتيب، جاء في(شرح الرضي على الكافية):» وقد تجيء في الجمل خاصة لاستبعاد مضمون ما بعدها عن مضمون ما قبلها، وعدم مناسبته، كما ذكرنا في قوله تعالى:﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ ﴿١٤المؤمنون﴾»(٢)، وهذه المرحلة(النفخ) هي أهمها؛ لأنها تشير الى لحظة بدء الحياة وجعل الروح في آدم بعد أن كان جمادًا أو شيئا آخر؛ فقد سبقه في الآية فعل بداية تشكيل الإنسان من طين ثم بعدها جعل نسله في ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه الروح، وكل فعل مختلف في حاله وصفاته ومرحلته عما سبقة او جاء بعده.

٢-أما الصيغة الثانية فهي صيغة الفعل الماضي المبني للمعلوم والمتصل بالضمير المسند اليه (فَعَلْتُ: نَفَخْتُ)، و(فَعَلْنَا: نَفَخْنَا) وقد وردت في أربعة مواضع، كلها مسندة الى ضمير الرفع المتحرك للمتكلم ولكن على نحوين: مرة مسندا الى تاء الفاعل للمتكلم المفرد في موضعين، في قوله تعالى:﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾﴿٢٩الحجر﴾ وقوله﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ونَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ ﴿ ص ٧٢﴾، ومرة أخرى مسندا الى ضمير جماعة المتكلمين (نا) في موضعين أيضا، في قوله تعالى: ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٩١الأنبياء﴾ ، وقوله تعالى:﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ ﴿١٢ التحريم﴾، والفعل في أربعها مبني على السكون لاتصاله بهذه الضمائر، وإسناد الفعل نفخ الى ضمير المتكلم المتصل به اتصالا مباشرا وهو تاء الفاعل للمتكلم قد أفاد تعيين المسؤول عن فعل النفخ العظيم الذي يبعث الروح في آدم ، وهو الله الخالق عز وجل. فقد اسند الله تعالى هذا الفعل له مباشرة وأما اتصال الفعل بضمير جماعة المتكلمين(نا) واسناده له فقد جاء بالضمير المشترك

(١) المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، عبد الصبور شاهين: ٦١.

(٢) شرح الكافية في النحو، رضي الدين الاستراباذي: ٢/ ٣٦٧، وينظر: معاني النحو، فاضل صالح السامرائي: ٣/ ٢٤٠.

ليدل على اشتراك طرف ثان أوكل الله اليه القيام بعملية النفخ في مريم ولكن بإرادته عز وجل نفخ الملك في فرجها وقيل نفخ في جيبها إذ لا يتناسب ان ينفخ الله فيه ولابد من طرف ثان تنزيها لله واجلالا له.

جاء الفعل الماضي (نَفَخْتُ) في الآيتين في تركيب جملة الشرط بـ(إذا) والأصل في (إذا) « أن تكون للمقطوع بحصوله وللكثير الوقع «[١] وهي في الغالب تكون» ظرفا للمستقبل مضمنة معنى الشرط وتختص بالدخول على الجملة الفعلية»[٢] على نحو ما نجده في الآيتين الكريمتين، وقد تخرج عن الاستقبال فتستعمل للمضي [٣] على نحو ما سنرى في موضع البحث في الآية التي وردت فيها مادة(نفخ) بصيغة فعل الأمر.

أما فعل الشرط في تركيب الآيتين فهو الفعل نَفَختُ بصيغة الماضي، وفعل الشرط الماضي يفيد المستقبل [٤]، وهنا خرج الفعل نَفَختُ من دلالته الأصل على زمن الماضي الى المستقبل بفعل قرينتين الأولى (إذا) التي تفيد المستقبل والثانية سياق تركيب الشرط نفسه، وهذا الأسلوب في التعبير بالماضي عن المستقبل سائد في العربية وله غايته الدلالية فقد « ذهب النحاة الى أن القصد من مجيء الشرط ماضيا وإن كان معناه الاستقبال هو إنزال غير المتيقن منزلة المتيقن، وغير الواقع منزلة الواقع «[٥]، أضف الى ذلك أن فعل الشرط بصيغة الماضي قد يفيد الكثرة، وهو يتعاضد مع ما تقدم من إفادة (إذا) كثرة الوقوع ، يقول الدكتور مصطفى جواد: « إن الفعل المعبر عنه بلفظ الشرط إذا كثر حدوثه استعمل الماضي وإذا قلَّ حدوثه استعمل المضارع، فالماضي أولى بالكثير لأنه كالحادث والمضارع أولى بالقليل لأنه لم يحدث « [٦]، ففعل الخلق ونفخ الروح حادث وعلى نحو الكثرة في الكائنات الحية، وفعل النفخ الإلهي في الآيتين المقترن بعملية خلق الانسان والذي يعقب تسويته خلقه دل على حتمية وقوع النفخ وبعث الروح فيه من الله سبحانه وتعالى وهو يحمل الدلالة على الكثرة أيضا وهذا ما موجود وقائم في حياتنا، فتناسل الانسان وتكاثر ولاداته الجديدة بالأحياء من الخلق مستمر ما بقيت البشرية وهذه أية عظيمة من آيات الله عز وجل

---

(١) ()معاني النحو : ٤/ ٧١، وينظر : الاتقان ، السيوطي: ١/ ١٤٩ .

(٢) ()مغني اللبيب ، ابن هشام الأنصاري: ١/٩٢-٩٣.

(٣) معاني النحو: ٢/ ١٧٨ .

(٤) ينظر : معاني النحو: ٣/ ٣١٤.

(٥) معاني النحو : ٤ /٥٦ ، وينظر الخصائص، ابن جني : ٣/ ١٠٥.

(٦) المباحث اللغوية في العراق ، مصطفى جواد : ٤٨.

ولذا استوجب على الملائكة السجود في جواب الشرط الذي جاء بصيغة الطلب المقترن بالفاء التي تشير الى السببية[١] فعبرت عن سبب السجود في الآيتين بقوله تعالى: (فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ).

أما الفعل (نفخنا) فقد ورد في الآيتين كلتيهما في تركيب يشبه الشرط أيضا ولكن بالاسم الموصول (التي) حيث اقترن جواب الشرط فيه بالفاء أيضا، فقد « يشبه الاسم الموصول بالشرط فتدحل في جوابه الفاء نحو(الذي يدخل الدار فله مكافأة) فإن دخول الفاء معناه أن المكافأة تترتب على دخول الدار، ترتب الجزاء على الشرط فيكون دخول الدار سببا للحصول على المكافأة.... فدخول الفاء يفيد التنصيص على السبب وحذفها لا يفيد التنصيص على شيء بل يحتمل السبب وغيره» [٢]، قال ابن هشام: « كما تربط الفاء الجواب بشرطه كذلك تربط شبه الجواب بشبه الشرط «[٣]، وانما يحسن دخولها في الموصول لأنه جعل الآخر جوابا للأول وجعل الأول به يجب الجزاء له[٤] ، نحو قوله تعالى: ﴿ واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ﴾ ﴿النساء﴾: ١٥، فالاستشهاد مترتب على إتيان الفاحشة.

في الآيتين اللتين ورد فيهما الفعل(نفخنا) والكلام فيهما عن مريم _ عليها السلام _ عبر عنها بالموصول دلالة على أنها قد اشتهرت بمضمون الصلة كما هو شأن طريق الموصولية غالبا ، وأيضا لما في الصلة من معنى تسفيه اليهود الذين تقوّلوا عنها إفكا وزورا، وقد أراد الله إكرامها بأن تكون مظهرا عظيما لقدرته في مخالفة السنة البشرية لحصول حمل أنثى من دون قربان ذكر، ليرى الناس مثالا من التكوين الأول أي: جزيناها على إحصان فرجها، بأن كوّن الله فيه نبياً بصفة خارقة للعادة فخلد بذلك ذكرها في الصالحات[٥].

١- اما الصيغة الثالثة للفعل الماضي التي وردت عليها مادة نفخ فهي صيغة الفعل الماضي الثلاثي المبني للمجهول (فُعِلَ : نُفِخَ) وقد وردت في سبعة مواضع في ست آيات، هي قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ ﴿١٠١المؤمنون﴾ . ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ ﴿٦٨ الزمر﴾ وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ﴿١٣ الحاقة﴾

(١) ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش : ٢/٩.
(٢) معاني النحو : ١٢٧/٤.
(٣) مغني اللبيب: ١/ ١٦٥
(٤) ينظر: الكتاب ، سيبويه : ٤٥٣/١.
(٥) ينظر: التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور:١٧/ ١٣٨-١٣٩، ٢٨ /٣٧٨ .

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ ﴿٩٩الكهف﴾ ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ ﴿٥١ يس﴾ ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾﴿٢٠ ق﴾

وفعل النفخ في الآيات كلها يعبر عن النفخ في الصُّوْر لذا فبالرغم من أنه جاء في جميعها بصيغة الماضي الا أن دلالته الزمنية في التركيب أريد بها الدلالة على حدث في زمن المستقبل بفضل أكثر من قرينة لغوية وحالية ، فمن اللغوية ورود الفعل (نُفِخَ) في تركيب الشرط بـ (إذا) مرتين في سورتي المؤمنون والحاقة وقد تقدم الكلام عن أثر قرينتي تركيب الشرط و(إذا) في جعل دلالة الفعل الماضي تدل على المستقبل، أما القرينة الحالية وهي الأقوى تأثيرا في نقل دلالة الماضي الى المستقبل أن النفخ في الصور حدث مستقبلي وليس حدثا قد مضى وهو يحدث يوم القيامة. فانعدام الأنساب بين البشر، والقيام من الأجداث التي اشارت إليه الآيات يكون يوم القيامة؛ فهو يوم الوعيد الذي ذكرته الآية في سورة، ق.

وفائدة التعبير بالماضي عن المستقبل كما يقول ابن الأثير) ت ٦٣٧هـ(: « أن الفعل الماضي إذا أخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بعد كان ذلك أبلغ، وأوكد في تحقيق الفعل وإيجاده؛ لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان ووجد، وإنما يفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يستعظم وجودها. (١) "والنفخ في الصور من الأحداث العظيمة في يوم عظيم، وأراد الله ان يدلل على انه واقع لامحالة فاستعمل الماضي للدلالة على حتمية وقوعه في المستقبل .

قد يأتي بناء الفعل للمجهول وترك الفاعل والاتيان بما ينوب عنه لأغراض متعددة كما يقول النحاة، منها الإيجاز، والعلم بالفاعل، وتعظيم الفاعل، والاستعلاء على الفاعل وتحقيره، او الجهل بالفاعل، او للخوف منه، او للخوف عليه، او قد لا يتعلق غرض بذكره (٢(، وفي موضعنا هنا العلم بالفاعل متحقق وبناء الفعل نفخ للمجهول قد جاء الغرض منه تعظيمه وتعظيم الحدث الذي يصدر عنه، فقد « أسند (نفخ) إلى الجمهور؛ لأن المعتنى به هو حدوث النفخ لا تعيين النافخ، وإنما ينفخ فيه بأمر تكوين من الله تعالى»(٣)، فالكل يعلم ان النفخ في الصور انما لا يكون إلا من

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير:١٤٩/٢ .

(٢) ينظر: معاني النحو:٦١/٢-٦٣، المبني للمجهول في القرآن الكريم، بحث في النحو والدلالة، زاهر محمد حنني: ٥١-٥٧

(٣) التحرير والتنوير :١٢٥/١٩.

الله تعالى أو بأمره وإذنه وبقدرته، وعدم ذكره يجعل الآيات تدفع بالمرء للتركيز على حدث ذلك اليوم وتصور هوله وحاله فيها، وهو أمر عظيم أيضا لأنه إيذان بالبعث والنشور ليوم الحساب الذي تشخص فيه الابصار، وتتضح صورة عظمة هذا الفعل من الآيات التي عبرت عن نتائجه وآثاره على وجوه الخلق وحالهم، نحو قيام الأموات من الأجداث أحياء ينظرون مذهولين، يموج بعضهم ببعض بفعل الصعق الذي يكونون فيه من النفخ بالصور وهول ذلك اليوم، وستر الفاعل لحدث بهذه العظمة تعظيم له فهو الذي يجعل بقدرته النفخ في الصور يفعل كل ذلك الامر العظيم، وهو الله عز وجل.

لابد لكل فعل من ان يسند الى فاعله ولما كان الفعل المبني للمجهول قد استغنى عن الفاعل فلابد له من أن يسند الى ما ينوب عنه وغالبا ما يكون المفعول به، وقد اختلف النحاة فيما يجوز أن يسند اليه الفعل، أ يسند الى المفعول به باعتباره المنوب الأصل في هذا الباب أم يجوز أن يسند إلى غيره مع وجود المفعول به؟ وهل يجوز أن يسند الفعل الى الجار والمجرور أو لا يجوز سواء بوجود غيره في الجملة كالمفعول أو الظرف أو والمصدر أو بدونه؟، ولن نخوض في ذكر آراء المختلفين في محلنا هنا؛ فالبناء للمجهول التي وردت عليها الآيات جميعا في موضع البحث هنا لا يوجد فيها مفعول به ينوب عن الفاعل ولا غيره وإنما جاء بعدها جار ومجرور خلا آية واحدة جاء فيه اسم المرة (نفخةٌ)، فضلا عن ذلك لما كان المعنى هو الحاكم في النص لأنه يمثل قصد المتكلم ؛ لذا فإننا نذهب مع من قال انه ينوب عن الفاعل ما كانت له الأهمية، وأدخل في عناية المتكلم، فإذا كان المجرور هو المهم أنيب، وإذا كان المصدر هو المهم فينوب هو، وإذا كان الظرف هو المهم كان هو المنوب عن الفاعل ، قال الرضي « والأولى أن يقال كل ما كان أدخل عناية المتكلم واهتمامه بذكره وتخصيص الفعل، به فهو أولى بالنيابة «[1]، فإذا نظرنا في الآيات التي ورد فيها (نُفِخَ في الصور) أو(نُفِخَ فيه) وجدنا الجار والمجرور هو النائب عن الفاعل ؛ لان المهم هنا ذكر الحدث مع ما ارتبط به من مجرور، أو ظرف فكان المجرور هو المهم ، وأما في قوله تعالى : ﴿ فإذا نُفِخَ في الصورِ نفخةً واحدة ﴾ ﴿الحاقة١٣﴾، « فالمصدر الدال على المرة هنا هو الأهم، لا المجرور كما في الآيات السابقة، ولذلك أنابه عن الفاعل؛ ومما يدل على أن الاهتمام منصب على المصدر الدال على المرة قوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾﴿ الحاقة ١٤﴾ فقد جاء بالمصدر الدال على المرة أيضا" [2]

(١) شرح الرضي على الكافية: ١/ ٩١

(٢) معاني النحو :٢/٧١،

ب- صيغة الفعل المضارع

الفعل المضارع: ما دل على زماني الحال والاستقبال، أو يسمى الحاضر والمستقبل، وقد وردت مادة نفخ بصيغة الفعل المضارع في ست مواضع وهي الآتي:

١-الأولى صيغة الفعل المضارع المبني للمعلوم ووردت في آيتين: واحدة بصيغة المتكلم المفرد (أفعَلُ، أنْفُخُ) في قوله تعالى:﴿ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾﴿٤٩ آل عمران﴾ .

والثانية بصيغة المخاطب مطلقا(تَفعَلُ ، تَنْفُخُ) في قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾ ﴿١١٠ المائدة﴾.

للفعل المضارع كما هو الحال للفعل الماضي دلالاته الزمنية المختلفة بحسب التركيب الذي يأتي فيه محتفا بالقرائن السياقية التي تنقل دلالته الأصل على الحال والاستقبال الى دلالات أخر لغايات بلاغية ودلالية ، ومن بين ذلك ان يستعمل المضارع الذي يدل على الاستقبال للإخبار به عن الماضي ويسمى حكاية الحال « والمقصود بحكاية الحال الماضية أن تعبر عن الحدث الماضي بما يدل على الحاضر استحضارا لصورته في الذهن، كأنه مشاهد مرئي في وقت الأخبار، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ﴾﴿ البقرة: ٤٩﴾ فسوم فرعون بني إسرائيل سوء العذاب وتذبيح الأبناء أحداث ماضية، غير أنه عبر عنها بالفعل الذي يدل على الحال، وهو المضارع فقال(يسومونكم) و(يذبحون) وذلك لقصد احضار مشهد التعذيب أمام العين، فكأنك تشاهد آل فرعون بأيديهم المدى يذبحون الأبناء[1]، وفي آيتي آل عمران والمائدة يرد الفعلان المضارعان أنفخ وتنفخ اللذان يدلان بأصل وضع صيغتيهما على الحال والمستقبل ليدلا على حدث جرى في الماضي، فمعجزة عيسى _عليه السلام_ التي آتاها الله عز وجل إياه كانت في الماضي وهي ليست حدثا مستمرا ومتجددا يمتد للمستقبل، ولكن الله في الآيتين لم يأت بصيغة الماضي نفخت؛ ولعل ذلك ليدفع بمتلقي النص في كل حين الى أن يستحضر المشهد أمامه ويتصور كيف كان عيسى عليه السلام يخلق من ذلك الطين الجامد بلا حياة طيرا بإذن الله فكانه يشاهد الحالة أمام عينيه ويقع تحت تأثير عظمة هذه المعجزة التي خص الله بها عيسى عليه السلام ، وهي مالم يؤتها غيره من الرسل بل أن نفخ الروح في الطين وخلق الحياة فعل عظيم اختص الله به نفسه وهو آية من آياته سبحانه وتعالى ، كل هذا

(١) معاني النحو: ٣/ ٣٢٨.

الاستدعاء للمشهد يتحقق بفعل استعمال المضارع المستقبل للإخبار به عن الماضي ، قال ابن الأثير موضحاً فائدة هذا الأسلوب: «اعلم أن الفعل المستقبل، إذا أُتي به في حالة الإخبار عن وجود الفعل، كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي؛ وذاك لأن الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصورة، حتى كأن السامع يشاهدها، وليس كذلك الفعل الماضي...وهكذا يفعل بكل فعل فيه نوع تمييز وخصوصية، كحال تُستغرب، أو تهم المخاطب، أو غير ذلك»[١] .

وأما عود الضمير المجرور في قوله (فَأَنْفخُ فِيهِ) من سورة آل عمران حيث جاء بضمير مذكر، وَقَوله (فَتَنْفُخُ فِيها) في سورة المائدة حيث جاء فيها بضمير مؤنث، فقوله: « (فأنفخ فيه) ذكَّر الضمير هنا لأنه يحتمل أن يعود على الطين المهيأ، ويحتمل أن يريد فأنفخ في المذكور، وأنَّثَ الضمير في سورة المائدة في قوله: (فتنفخ فيها (لأنه يحتمل أن يعود على الهيئة أو على تأنيث لفظ الجماعة في قوله (الطير)» [٢]، فالضمير يعود على ما تقتضيه الآية ضرورة.

٢- الثانية صيغة الفعل المضارع المبني للمجهول) يُنفَخُ، يُفعَلُ) من الفعل الثلاثي وقد وردت في أربع آيات:

﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣ الأنعام﴾ وقوله تعالى ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢ طه﴾.

وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ ﴿٨٧ النمل﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨ النبإ﴾.

وقد تقدم الكلام في موضع الفعل الماضي عن الغرض من بناء الفعل للمجهول وعن ما ينوب عن الفاعل ، وفي تركيب الجمل في هذه الآيات جاء الفعل المبني للمجهول مضارعا ولكن لا يختلف المنوب عن الفاعل في أن يكون الجار والمجرور أيضا كما في الماضي لأنه أدخل أيضا عناية المتكلم واهتمامه بذكره وتخصيص الفعل به فهو أولى بالنيابة وهو الذي يسند اليه الفعل بعد غياب الفاعل لان المهم هنا ذكر الحدث مع ما ارتبط به من مجرور.

أما الدلالة الزمنية التي حققها الفعل المضارع هنا فهي الاستقبال تنصيصا لأنه جاء في سياق

(١) المثل السائر :٢/ ١٤٥.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبن عطية الأندلسي المحاربي: ٤٣٩/١، وينظر :٢٥٨/٢.

الوعيد[١] بالفزع الأكبر وحشر المجرمين والمجيء إليه داخرين او سياق التذكير بقدرات الله عالم الغيب والشهادة.

ج- فعل الأمر:

دلالة فعل الأمر هو طلب الفعل بصيغة مخصوصة، وصيغته افعل للمخاطب نحو اذهب [٢]، وإذا وردت صيغة افعل مطلقة خالية من القرينة فذهب جمهور الأصوليين إلى أنها تدُّل على الوجوب، وجب امتثال الأمر دون انتظار القرائن التي تعين كونه للوجوب أو الندب، وقالوا بدلالته على الفور لا التراخي[٣]، وقد وُضِعَ الأمر لاعتبار طلبي لا لاعتبار زمني كالماضي مثلا ويتضح ذلك من كلمة (يطلب) التي تضمنتها بعض تعريفات فعل الأمر بأنه « صيغة يطلب بها الفعل من الفاعل المخاطب»[٤]، ذلك انَّا إذا سمعنا أحدا قال لغيره : افعل كذا، فإنه يسبق إلى الإفهام منه طلب الفعل واقتضاؤه وإذا كان الطلب هو السابق إلى الفهم عند عدم القرائن مطلقا دل ذلك على كون الصيغة (افعل) وأشباهها حقيقة فيه، أي أنها في أصل الوضع اللغوي للطلب [٥]، وأما دلالته الزمنية فيذهب كثير من النحويين الى أنه يدل على المستقبل سواء كان المستقبل قريبا أم بعيدا لأنه يأتي لما يكون ولم يقع أو دوام حصوله، نحو قولك آمرا اكتب واقرأ أو اذهب والعب، فما يكون ولم يقع يدل زمنيا على المستقبل، قال المبرد:» وإنما الأمر من الفعل المستقبل، لأنك تأمره بما لم يقع» [٦]،هذا اذا لم ترد قرينة في التركيب الذي يرد فيه الفعل تغير الدلالة المستقبلية الى دلالة أخرى.

ورد فعل الأمر من مادة نفخ مرة واحدة فقط بصيغة (افعَلوُا، انفُخُوا) مسندا الى واو الجماعة ومبنيا على حذف النون، وواو الجماعة ضمير متصل في محل رفع فاعل للفعل، وذلك في قوله تعالى:﴿ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾﴿٩٦ الكهف﴾ ، وجاء فعل الأمر(انفخوا) في تركيب يتضمن (إذا) التي هي ظرف للمستقبل متضمنة معنى الشرط ، وتعرب جملة (انفخوا) مقول القول في محل نصب

(١) ينظر: معاني النحو : ٣/٣٢٥،٣٢٧ .
(٢) ينظر: شرح المفصل : ٧/٥٨
(٣) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، عباس، فضل حسن : ١٥٠ .
(٤) شرح الكافية :٢/٢٦٧، وينظر: الدلالة الايحائية في الصيغة الافرادية، صفية مطهري: ١٧٧.
(٥) ينظر: دراسة المعنى عند الأصوليين، طاهر سليمان :٧٢، ومحاضرات في أصول الفقه، محمد إسحاق :٢ /١٢١-١٣٢
(٦) المقتضب ، المبرد: ١/٨٣ .

مفعول به للفعل الماضي(قال) وفاعله مستتر، والجملة من الفعل والفاعل جواب شرط غير جازم لـ(إذا)، وهذا الفعل (قال) قد أخرج (إذا) عن دلالتها على الاستقبال واستعملها للمضي لأنه فعل ماض يحكي ما حدث في الماضي فيستحيل أن يدل على المستقبل.

دلالة فعل الأمر انفخوا في الآية الكريمة أفادت في وقتها المحكي طلب القيام بالنفخ على وجه الالزام كونه ضروري لإكمال عمل السد، وكذلك أفاد الاستمرار أو التكرار في إتيان الفعل لأكثر من مرة ولكنه استمرار الى أجل معين، فالفعل يتكرر اتيانه لوجود سبب وغاية لذلك، ومادام السبب قائما يستمر فعل الأمر؛ حيث أن العملية التي يتطلبها تحويل زبر الحديد الى نار تقتضي تكرار فعل النفخ أو استمرار إتيان المخاطب له مرات عدة ولكن الإتيان يتوقف بمجرد ان يتحول الزبر الى نار لينتقل الى فعل آخر وحدث مختلف بدليل قرينة (حتى) التي تفيد انتهاء الغاية وذلك في قوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ وإذ تحول الزبر الى نار انتهت الغاية وزال السبب الداعي لاستمرار قيام المخاطب بفعل النفخ وتكراره، وهذا ما يبين لنا ان دلالة الاستمرار او التكرار في صيغة الأمر راجع الى قرائن السياق لا إلى صيغة الامر ذاتها.

ثانيا_ الصيغة الاسمية

لم ترد مادة نفخ بالصيغة الاسمية في القرآن الكريم إلا مرة واحدة فقط هي صيغة مصدر المرة او ما يسمى أحيانا باسم المرة، على وزن (فَعْلَة، نَفْخَة) في قوله تعالى:﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾﴿١٣ الحاقة﴾ وهو مصوغ من الفعل الثلاثي المجرد (نَفَخَ) على وزن مصدره (نفخ) بإضافة تاء مربوطة في آخره ، فمصدر المرة اسم يصاغ من الثلاثي على(فَعْلَة)، وغيره بزيادة تاء على مصدره نحو قَامَ قَوْمَة وأَعطَى إعْطَاءَة ، وهو يستعمل للدلالة على وقوع الحدث مرة واحدة [1]، وقد جاءت (نفخة) في تركيب شرطي غير جازم (فَإذا) الفاء حرف استئناف (إذا) ظرفية شرطية غير جازمة (نُفِخَ) فعل ماض مبني للمجهول (فِي الصُّورِ) متعلقان بالفعل و(نَفْخَةٌ) نائب فاعل و(واحِدَةٌ) صفة نفخة والجملة في محل جر بإضافة (اذا) .

و(نفخة): يحمل دلالة المصدرية وكذلك دلالة المرة وهو بالإضافة لدلالة صيغته بذاتها على المرة الواحدة اقترن بوصف أيضا يؤكد هذه الدلالة هو (نفخة واحدة)، فـ(نَفْخَة) « في الأصل مفعول مطلق، أو تقع على النيابة عن الفاعل، ووصفت نفخة بـ (واحدة) تأكيدا لإفادة الوحدة من صيغة الفعلة تنصيصاً على الوحدة المفادة من التاء والتنصيص على هذا للتنبيه على التعجيب من

(١) ينظر: المستقصى في علم التصريف، د. عبد اللطيف محمد ٤١٧/١-٤١٨، والصرف الوافي، د. هادي نهر: ٧٦.

تأثر جميع الأجساد البشرية بنفخة واحدة دون تكرير تعجيباً عن عظيم قدرة الله ونفوذ أمره ، وهي مع أنها واحدة- تتأثر بها السموات والأرض والجبال، وهذا دليل على وحدانية الله- تعالى- وقدرته؛ لأن سياق الكلام من مبدأ السورة الذي صدرت به تهويل يوم القيامة مِنْ قَوْلِهِ تعالى: ﴿ الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ وَما أَدْراكَ مَا الْحَاقَّةُ الْحَاقَّةُ﴾ ﴿١- ٣ الحاقة﴾ فتعداد أهواله مقصود، فحصل من ذكر نفحة واحدة تأكيد معنى النفخ وتأكيد معنى الوحدة وليس المراد بوصفها بـ(واحدة) أنها غير مُتَبعة بثانية فقد جاء في آيات أخرى أنهما نفختان، بل المراد أنها غير محتاج حصولُ المراد منها إلى تكررها كناية عن سرعة وقوع الواقعة ، أي يوم الواقعة[1]

(١) ينظر التحرير والتنوير: ٣٠/١٢٤-١٢٥.

المبحث الثالث
المستوى الدلالي لمادة النفخ في سياقات الاستعمال القرآني

يرى امبسون إن معاني الكلمات (نتائج لا يتوصل إليها إلا من خلال تفاعل الإمكانيات التفسيرية لكامل الكلام أي لمجموع مكونات النص السياقية)[١]؛ ذلك لأنه لا يمكن لنا أن ندرك معنى الكلام من خلال المعاني المعجمية للكلمات فهي ليست كل شيء، فثمة عناصر لغوية وغير لغوية تسهم بشكل كبير في تحديد المعنى ويمكن أن نعدها جزءا أو أجزاء من الكلام الذي لا يمكن الوصول إلى معناه الدقيق بدونها[٢] من هنا ندرك أن دراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلا للسياقات والمواقف التي ترد فيها حتى ما كان منها غير لغوي، لان معنى الكلمة يتعدل تبعا لتعدد السياقات التي تقع فيها اللفظة[٣]

لقد ورد استعمال النفخ في سياقات الآيات القرآنية كلها على أربعة أحوال، وبدلالات عدة، لاتقف عند حدود دلالة الصيغة التي جاءت عليها، فبعضها لا يختلف عن دلالتها اللغوية وبعضها الآخر يرتبط بدلالة الخلق والروح، وبأحوال يوم القيامة وأهوالها وبالبعث والحساب، تحددها السياقات التي وردت فيها، وهي:

أولا_ دلالة النفخ المادّيّ الصرف [٤]، وهي الأقرب للدلالة اللغوية للنفخ وذلك في قوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ ﴿٩٦ الكهف﴾ والنفخ إما يكون بالفم الى أن يصير الحديد نارا مشتعلا، أو يكون بوسيلة مادّيّة أخرى للنفخ كالزق، وهو نفخ مادي يتطلب اطلاق الهواء لا غيره وذلك بقرينتين سياقيتين الأولى حالية مستنتجة من طبيعة الموقف والعمل « من كون العمل في صنع الحديد وصهره ، والتقدير: انْفخوا فِي الكيران، أَي الكيران المصفوفة على طول ما بين الصدفين من زبر الحديدِ"[٥]، والثانية لغوية تكمل صورة الأولى، هي قوله (حتى إذا جعله نارا) ما يعني نفخا بالهواء مستمرا متكررا وعلى نحو

(١) علم الدلالة العربي، فايز الداية: ٢٢٣.
(٢) ينظر: علم اللغة، محمود السعران: ٢٨٨.
(٣) ينظر علم الدلالة، أحمد مختار عمر :٦٩
(٤) التحقيق في كلمات القرآن الكريم :١٨٨/١٢.
(٥) التحرير والتنوير : ١٦/ ٣٧.

الكثرة والجماعة أشار اليه ضمير الجماعة في الفعل انفخوا وصولا الى تحوله الى نار.

ثانيا_ دلالة النفخ المادّي ولكن فيه جهة من النفخة الروحانيّة[1]، في قوله تعالى:

﴿ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾﴿٤٩ آل عمران﴾، وفي قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ﴾ ﴿١١٠المائدة﴾

فهذا نفخ مادّيّ بالفمّ كما يظهر من الآية ولكن فيه جهة من النفخة الروحانية وتوجه إلهيّ ، فكون « عيسى عليه السلام خالقاً بيده ونافخاً بفيه إنما هو ليبين تلبسه بالمعجزة، وأنها جاءت من قبله، وأما الإيجاد من العدم وخلق الحياة في ذلك الطين فمن الله تعالى وحده لا شريك له »[2] ؛ وذلك بدليل قرينتين وردتا في سياق النصين، الأولى استعمل في النصين فعل الكينونة (فيكون) و(فتكون) ولم يقل فتصبح أو تصير أو تتحول مثلا لأنها لم تتحول أو تتصير من حال الى حال بمجرد فعل النفخ من عيسى عليه السلام بل لأنه أراد أن حقيقة الايجاد من العدم وخلق الحياة إنما لله وحده وما يناسب هذا المعنى هو التعبير بفعل الكينونة لان الله عز وجل وحده الذي اذا أراد شيئا إنما يقول له كن فيكون ، وأما القرينة الثانية فهي قوله في الآيتين (بإذن الله) و(بإذني) التي تؤكد ان خلق الطير على يد عيسى إنما كان بعلم من الله تعالى وبتمكين منه له.

ثالثا _ دلالة النفخ الروحانيّ الإلهيّ الذي يمثل الخلق، كما في قوله تعالى:

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾﴿٢٩الحجر﴾، وفي قوله تعالى: ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾﴿٩١الأنبياء﴾، وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ﴾ ﴿٩ السجدة﴾، وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ونَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾﴿ ص ٧٢ ، وقوله تعالى:﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾﴿١٢ التحريم﴾، ودلالة النفخ هنا تعبر عن إفاضة الروح في جسد آدم، أي تدل على معنى الخلق الإلهي، وهو ما يتفق عليه المفسرون غير انهم تباينوا بطريق تحقق هذه الدلالة فصاحب الميزان يرى انها دلالة كنائية، فالنفخ « إدخال الهواء في داخل الأجسام بفم أو غيره ويكنى به عن القاء اثر أو أمر غير محسوس في شئ ويعنى به في الآية ايجاده تعالى الروح الانساني بما له من الرابطة والتعلق بالبدن وليس بداخل فيه دخول الهواء في الجسم المنفوخ»[3].

---

(١) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم :١٨٨/١٢.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:٣٠٤/١.

(٣) ()الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي: ١٥٣/١٢.

ويرى الطاهر بن عاشور المعنى نفسه ولكن حدث من طريق الاستعارة، فالنفخ» حَقِيقَتُهُ إِخْرَاجُ الْهَوَاءِ مَضْغُوطًا بَيْنَ الشَّفَتَيْنِ مَضْمُومَتَيْنِ كَالصَّفِيرِ، اسْتُعِيرَ هُنَا لِوَضْعِ قُوَّةٍ لَطِيفَةِ السَّرَيَانِ قَوِيَّةِ التَّأْثِيرِ دُفْعَةً وَاحِدَةً، وَلَيْسَ ثَمَّةَ نَفْخٍ وَلَا مَنْفُوخٍ" (١)

مهما يكن طريق تحقق هذه الدلالة فإنه بهذا الاستعمال تحولت الدلالة الحسية، إلى دلالة معنوية أو وظفت لتقريب حقيقة معنوية عظيمة للعبد (متلقي النص) عن خلق الانسان وايجاد الحياة فيه، ففي معنى النفخ تحريك الهواء ونحوه مما يحدث أثرا في الموجودات الحسية فقرَّب بهذه الصورة ادراك عملية بث الروح في البدن البشري وارسالها فيه ، وأما الهواء الذي هو من لوازم استكمال عملية النفخ ، فهو لطيف خفيف لا يرى وكذلك الروح هي جريان أمر لطيف، ولكن الهواء يمكن أن يحس، فاستثمر هذا الجانب الحسي للهواء لتقريب ادراك لطافة الروح المبثوثة في البدن .

هذه النفخة إلهية وهي سر تميز الانسان عن سائر مخلوقات الله في الأرض وهي التي أهلته لإسجاد الملائكة له ولاصطفاء بعضهم للوحي والنبوة ولولا تلك النفخة ما كان البشر اهلا لشيء من ذلك كله(٢).

رابعا_ دلالة النفخ في عالم الآخرة (٣)، والله أعلم كما في قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ ﴿٧٣ الأنعام﴾.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾ ﴿٩٩ الكهف﴾.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ ﴿ ١٠٢ طه﴾.

﴿ فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَساءَلُونَ﴾ ﴿١٠١المؤمنون ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ ﴿٨٧ النمل﴾.

﴿ونُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذا هُمْ مِنَ الْأَجْداثِ إِلى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾﴿٥١ يس﴾.

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرى فَإِذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿٦٨ الزمر ﴾.

---

(١) التحرير والتنوير :٤٤/١٤.

(٢) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم :٢٢٣٤.

(٣) التحقيق في كلمات القران الكريم : ١٢ /١٨٩ .

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴾ ﴿٢٠ ق﴾ وقوله ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ﴿١٣الحاقة﴾.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ ﴿١٨النبأ﴾.

النفخ في الصور قضية قطعية الوقوع في الآخرة بأدلة القرآن الكريم والسنة الشريفة ولا يمكن لمن يؤمن بالله واليوم الآخر والبعث والحساب أن ينكر النفخ في الصور، ولكن السؤال الذي شغل المفسرين هو ما حقيقة دلالة هذا النفخ والصور؟ لأنه " في الواقع أنّ النفخ في الصور بتفاصيله ما زال مجهولاً لنا، وهو من الأُمور الغيبيّة التي يجب الإيمان بها، وقد عبر عنها القرآن بأمر محسوس من باب تشبيه المعقول بالمحسوس، وعلى كلّ حال فالنفخ له مرحلتان، المرحلة الأُولى: مرحلة الإماتة، وهي قُبيل يوم القيامة يسفر عن هذا النفخ الصعقُ والفزع اللّذان كُنّيا بهما عن الموت، لمرحلة الثانية: مرحلة الإحياء وإحضار الناس إلى المحشر.

وقد ذكرت النفختان في الآية ٦٨ من سورة الزمر [١]؛ ولأنهما من المسائل الغيبية التي يجب الإيمان بها، وإن لم نقف على حقيقتها وواقعها، فإن الدلالة المستنتجة من هذه الآيات هي دلالة تأويلية غير قطعية بل ترجيحية تحاول أن تقدم تصورا قريبا من حقيقة النفخ والصور باعتماد قرائن لغوية وحالية تستمدها من النصوص المختلفة التي ورد فيها (النفخ في الصور) وبينت ما يلحق بالخلق من آثار بسبب هذا النفخ، وهذا الاجراء يعد على وفق رأي فيرث وأصحاب النظرية السياقية رصدا لمجموع السياقات التي ترد فيها الكلمة لمعرفة دلالتها « فدراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلا للسياقات والمواقف التي ترد فيها، حتى ماكان منها غير لغوي ومعنى الكلمة – على هذا – يتعدل تبعا لتعدد السياقات التي تقع فيها «[٢]، وتمثلت هنا بسياق الآيات القرآنية المختلفة التي وردت فيها عبارة(النفخ في الصور)، بالإضافة الى قرائن من خارج النص القرآني تتمثل بنصوص الأحاديث والروايات من السنة النبوية الشريفة التي تبين طبيعة الصور وأنه قرن كبير وان النافخ هو اسرافيل وما المدة بين النفخة الأولى والثانية لأن معرفة الصور قد توضح لنا طبيعة النفخ،» فمعنى الكلمة يرتبط بمعنى متساوقتها «[٣]؛ لذا فقد وظفها المفسرون لإيضاح المقصود بالنفخ في الصور، لان الالفاظ تنكشف خصائصها الدلالية على وفق مبدأ الرصف الذي يقول

(١) ينظر مفاهيم القرآن ، جعفر السبحاني: ٨/ ٢٠٧، ٢٠٩.

(٢) علم الدلالة :٦٩.

(٣) معنى الكلمة بين الاتجاه الوظيفي والاتجاه التجريدي،٦٥.

به السياقيون والذي ينظم ارتباطها فيما بينها في التركيب[١]، ولكن بالرغم من كل هذه الأدلة والمحاولات تبقى الدلالة تأويلية وليست دلالة قطعية لعدم امكان تحديد حقيقة معنى النفخ في الصور كونه من الغيبيات التي لا يمكن الوقوف عليها فهي من أحداث يوم القيامة التي يفوق هولها التصورات العقلية، بمعنى لايمكن تحديد ابعاد سياق الموقف لها وبالتالي عدم تحديد المعنى بشكل قطعي، وللعلّامة الطباطبائي كلام في هذا الموضع يوجز المسألة إذ يقول:

ولا يبعد أن يكون المراد بالنفخ في الصور يومئذٍ مطلق النفخ أعمّ ممّا يميت أو يحيي ، فانّ النفخ كيفما كان من مختصات الساعة، ويكون ما ذكر من فزع بعضهم وأمن بعضهم من الفزع وسير الجبال من خواص النفخة الأُولى ، وما ذكر من إتيانهم داخرين من خواص النفخة الثانية. [٢]

وربما عدم قطعية هذه الدلالة او إمكانية وضع تصور دقيق عنها جزء من غايات نصوص الآيات القرآنية ومقصودها الذي سيقت له، لأنه يجعل تأثيرات أحوال يوم القيامة وأهواله دائمة ومستمرة بوقعها على نفسية العبد فيزداد المؤمن بها خشوعا وتكون حجة على ناكرها وتصغيرا للمتكبر عليها أمام هذا الحدث، وهذا هو الأكثر انسجاما مع سياقات الترهيب والتعظيم التي وردت فيها عبارة النفخ في الصور في الآيات القرآنية.

(١) ينظر: علم الدلالة :٧٤

(٢) الميزان في تفسير القران: ٤٠٣/١٥.

الخاتمة

انتهى البحث في مادة نفخ التي وردت في آيات القرآن الكريم الى عدد من النتائج، هي:

١- تأتي أهمية مادة نفخ في القران الكريم من جانبين: موضوعي ودلالي؛ حيث ان النفخ ارتبط بأول الحياة البشرية كما ارتبط بالتعبير عن آخرتها أيضا؛ فالنفخ كان الأساس في عملية خلق الإنسان في النشأة الأولى بنفخ الروح وإيجاد الحياة، وهو الايذان أيضا بآخرتها بالنفخ في الصور والبعث بيوم الحساب.

٢- جاءت الصيغ الصرفية من هذه المادة في جميعها بالصيغة الفعلية سوى مرة واحدة بالصيغة الاسمية هي اسم المرة(نفخة)، واغلب الصيغ الصرفية التي وردت للأفعال كانت صيغة الفعل المبني للمجهول والاقل منها المبني للمعلوم، أما صيغة الأمر فجاءت مرة واحدة.

٣- آثر الخطاب القرآني عند استعمال صيغة الفعل من (نفخ) عدم ذكر المسند إليه (الفاعل) بالاسم الظاهر وانما جاء في جميعها إما فى صورة الضمير المتصل بالفعل، أو قد يحذف الفاعل أصلا ويبني الفعل للمجهول وهو ما يجعل التركيز يكون على الحدث، وليس بالضرورة أن يكون النائب عن الفاعل المفعول به بل ينوب ما كانت له الأهمية في الكلام.

٤- لم تحتفظ الأفعال ضمن التركيب بدلالة صيغتها الزمنية بل اختلفت أزمنتها بفعل قرائن التركيب النحوي الذي جاء أغلبه شرطيا او ما يشبه الشرط، وغالبا ما كان التغير بدلالة الزمن لتحقيق غايات دلالية.

٥- بعد رصد دلالة ألفاظ النفخ الواردة في السياقات القرآنية المتعددة، تطبيقا لما قاله الدلاليون من أن معنى الكلمة تحدده مجموع السياقات التي وردت فيها، فأن المعنى الأساس والاصل المشترك للنفخ هو اندفاع الهواء او شيء لطيف نظيره من مصدره في جوف مخلخل بالفم أو بغيره، ويمكن بهذا تفسير معاني النفخ المختلفة التي وردت، وارتباطها به، فالنفخ بمعنى الخلق هو أيضا أجراء أمر لطيف هو الروح في الطين الذي منه الكائن الحي، والنفخ في الصور هو أيضا اندفاع أمر لطيف في الصور ولكن لا تعرف طبيعة الشيء المنفوخ ولا الصور على نحو الدقة كونه من الغيبيات، التي حاول القرآن تقريب تصورها للعبد مختارا (النفخ) كونه فعل حسي والله أعلم، وقد اكتسب النفخ هذه الدلالات المتعددة بالاستعمال القرآني، حيث تنوعت بفعل سياق الآيات القرآنية التي ورد فيها.

المراجع والمصادر

- القرآن الكريم.

١. الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر، ط٣، ١٣٧٠هـ-١٩٥١م.

٢. أثر الموقع النحوي على الوظيفة الدلالية (دراسة وصفية تحليلية لنصوص من دلائل الاعجاز)، نيكسون جونسون بونا، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، المجلد) ٥) العدد (٣) مارس ٢٠٢٤ الخرطوم – السودان.

٣. أساس البلاغة ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تقديم: محمود فهمي حجازي ، الهيأة العامة لقصور الثقافة سلسلة الذخائر ٩٥، مايو ٢٠٠٣م.

٤. الاعجاز الصرفي في القرآن الكريم التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية، بيروت ٢٠٠٢م.

٥. البرهان في علوم القران، بدر الدين الزركشي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.

٦. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، شركة العاتق للطباعة والنشر، القاهرة ،١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م

٧. البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، عباس، فضل حسن، دار الفرقان، عمان، ط٢، ١٩٨٩م.

٨. البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني، تمام حسان، طبعة خاصة تصدرها عالم الكتب ضمن مشروع مكتبة الأسرة.

٩. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٢م.

١٠. التأويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، محمد بازي منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط١- ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

١١. التحرير والتنوير)تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد): محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية

للنشر – تونس ، ١٩٨٤م.

١٢. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المحقق المفسر العلامة المصطفوي حسن، طهران، مطبعة اعتماد، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، ط١، ١٣٨٥هـ.

٣١. التحليل النحوي أصوله وأدلته، د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية ، ط١، ٢٠٠٢م.

٤١. التحليل النحوي عند ابن هشام، وائل عبد الأمير، أطروحة دكتوراه، جامعة بابل_ كلية التربية، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٥١. التحول الداخلي في الصيغة الصرفية، مصطفى النحاس، مجلة اللسان العربي، مج١٨، ج١، الدار البيضاء، ١٩٨٠م.

٦١. التركيبات الوظيفية قضايا ومقاربات، أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط ، ط١ ،١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

١٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت٥٤١هـ)، دار ابن حزم.

٨١. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ) ، تح: محمد علي النجار / مطبعة دار الكتب المصرية.

١٩. دراسة المعنى عند الأصوليين، طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية-مصر،١٤٠٣-١٩٨٣م

٢٠. الدلالة الايحائية في الصيغة الافرادية، صفية مطهري، اتحاد الأدباء والكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣م.

١٢. الدلالة السياقية عند اللغويين، عواطف كنوش إسماعيل، رسالة ماجستير جامعة البصرة، كلية الآداب،١٩٩٢.

٢٢. شرح المفصل للزمخشري موفق الدين ابن يعيش(ت٦٤٣ هـ) طبع ونشرة ادارة الطباعة المنيرية.

٣٢. شرح الكافية في النحو، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، الناشر: انتشارات مرتضوى، طهران، ١٩٨٩م.

٤٢. شرح شافية ابن الحاجب، محمد بن الحسن رضي الدين الاستراباذي، تحقيق : محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت،

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م .

٥٢. الصرف الوافي دراسات وصفية تطبيقية، د. هادي نهر: ٧٦، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١، ٢٠١٠.

٢٦. علم الدلالة :٦٩، أحمد مختار عمر، عالم الكتب،القاهرة – مصر، ط٥، ١٩٨٨م.

٢٧. علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق: دراسة تاريخية تأصيلية نقدية، فايز الداية، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٩٦م.

٢٨. علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، محمود السعران، دار الفكر العربي، القاهرة ، ١٩٦٢م.

٩٢. القرينة في اللغة العربية، كوليزار كامل عزيز، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٣٠. كتاب العين، ابي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥ هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، القاهرة .

١٣. كتاب المفتاح في الصرف، عبد القاهر الجرجاني، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٧هـ،١٩٨٧م.

٢٣. الكتاب لسيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط٢،١٩٧٧

٣٣. الكلمة القرآنيّة أعماقها، أبعادها، أدوارها ارتباطاتها، أشكالها، إعجازها، خالد بكرو، مجلة الدّراسات الإسلاميّة ــ العدد العاشر جامعة عمار ثليجي، الجزائر- ٢٠١٨م -الترقيم الدولي ISSN ٠٨٩٤-٢٢٥٣-

٣٤. لسان العرب،ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري(ت٧١١هـ)، دار احياء التراث ا، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٥٣. المباحث اللغوية في العراق، الدكتور مصطفى جواد، مطبعة العاني، بغداد، ط٢، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.

٦٣. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، نصر الله بن محمد ضياء الدين ابن الأثير، (ت ٦٣٧ هـ) تحقيق: أحمد الحوفي - بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة

٣٧. محاضرات في اصول الفقه: محمد اسحاق الفياض، طبع سمباسا، افريقيا الشرقية.

٣٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت٥٤٢هـ(، تحق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ .

٣٩. المستقصى في علم التصريف، د. عبد اللطيف محمد الخطيب، دار العروبة، الكويت، ط١، ٢٠٠٣م.

٤٠. معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، المجلد٢، شركة العاتك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م

١٤. معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، المجلد ٣ ،٤، دار الفكر، الأردن، ط١، ١٤٢هـ- ٢٠٠٠م.

٤٢. المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مؤصل ببيان العلاقات بين الفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها، محمد حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة ط١، ٢٠١٠م.

٣٤. معنى الكلمة بين الاتجاه الوظيفي والاتجاه التجريدي: يحيى أحمد، المجلة العربية للعلوم الانسانية، جامعة الكويت، المجلد٤، العدد ١٦، ١٩٨٤م.

٤٤. مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب ، ابن هشام الأنصاري(ت٧٦١هـ)، تح: محمد محي الدين عبد الحميد

٤٥. مفاهيم القرآن الشيخ جعفر السبحاني، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ط١، ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠ م.

٤٦. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٤٧. المقتضب، أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تح : محمد عبد الخالق عظيمة – عالم الكتب – بيروت ، لبنان

٨٤. المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، لبنان، ١٩٨٠م.

٤٩. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٩٧م

٥٠. المبني للمجهول في القرآن الكريم « بحث في النحو والدلالة «، زاهر محمد حنني، مجلة جامعة الخليل للبحوث، مج٣، العدد١، ٢٠٠٧م.